آدم صفي الله عليه السلام

معجزات آدم:

1 - خلقه.

2 - نفخ الروح فيه.

3 - علمه ربه أسماء كل شيء وأول ما تعلم من الأسماء أسماء الله الحسنى عز وجل.

4 - أسجد الله تعالى له الملائكة.

5 - لعن إبليس لأجله مع كثرة عبادته.

* * * * * * * * * * * *

وإليك الخصائص التى خص الله عز وجل بها آدم عليه السلام

لقد خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه، وفى أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} ولقنه الحمد حين عطس، ثم قال له يرحمك ربك، فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل، وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة، وعلمه الأسماء كلها، وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين، وجعله أبا البشر وجعله خليفته فى الأرض.

وعرف الملائكة فضله عليهم، ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته، وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة لله فى الأرض، وهو المميز للأرواح الخبيئة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه عليه السلام وشرف وكرم والله أعلم.

آدم صفى الله

يكنى آدم عليه السلام بأبى البشر ويلقب بالخليفة والصفى «**ورد فى زيارة وارث: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله**» عندما سكن آدم فى الجنة وحواء فى الجنة أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يأكلا ويشربا ما شاء لهما ونهاهما عن الاقتراب من شجرة لأن الأكل منها يعتبر ظلما لأنفسهما، وفى الجنة أشياء أربعة غير موجودة وهى: الجوع والعطش والعرى والمرض. وعندما رأى آدم الراحة والاطمئنان فى الجنة قال فى نفسه: إن إبليس فى الأرض وأنا فى الجنة ولا يستطيع أن يصل إلى، ولقد منعنا من الأكل من شجرة واحدة فى الجنة وإذا لم نأكل من هذه الشجرة فنحن فى أمان من عداء إبليس.

أما إبليس فإنه قرر أن يضل آدم وحواء ويخرجهما من الجنة لقد ذاق إبليس طعم عصيانه وهو يعلم أن العصيان يُذهب العزة والرحمة فمنع من دخول الجنة، وقد جرب الاحتيال أول مرة ليدخل الجنة فاستقر فى فم حيوان ودخل، ومن لسان ذلك الحيوان وسوس لآدم وحواء وقال لهما: إن قلبى يحترق لحالكما لأنكما لا تستطيعان البقاء فى الجنة.

قالا: لماذا؟!

قال إبليس: لأنكما ممنوعان من الأكل من هذه الشجرة وهى شجرة السعادة والخلود، وكل من يأكل منها يخلد فى الجنة والذى

لا يأكل منها فإنه سيخرج من الجنة، وأقسم بأنه صادق فى قوله وهو أول من أقسم كذبا.

قيل: إن هذه الشجرة كانت شجرة تفاح أو حنطة أو عنب، لكن الطمع وغواية الشيطان دفعا آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة الممنوعة.

ورد فى معانى الأخبار بإسناده إلى الهروى قال قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله أخبرنى عن الشجرة التى أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف فيها الناس فمنهم من يروى إنها الحنطة ومنهم من يروى أنها العنب ومنهم من يروى أنها شجرة الحسد؟

فقال عليه السلام: كل ذلك حق، فقلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت: إن شجرة الجنة تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة وفيها العنب وليس كشجرة الدنيا... [1].

وما إن دخلت الثمرة فى حلقومهما نزع لباسهما وأصبحا عاريين فى حين أنهما أعطيا عهدا بأن لا يجوعا ولا يعريا فى الجنة، عندها علم آدم وحواء إن مصيرهما آل إلى حال آخر فخجلا من حالة العرى وأخذا يستران بدنهما العارى من ورق الشجرة بحالة من الخوف والهلع.

وجاءهما الخطاب من البارى تعالى: ألم أمنعكما من أن تأكلا

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

من الشجرة؟ ألم أقل لكما بأن الشيطان عدو لكما؟ الآن وقد عصيتما أخرجا من الجنة واهبطا إلى الأرض لتعيشا فيها بمعاناة وعداوة ومصاعب إلى أن يشاء الله، بعدها أخرجا من الجنة وهبطا على جبل (سرنديب) وبكى آدم أربعين يوما من الخوف والخجل والندم.

قال تعالى فى كتابه العزيز: **{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}** (1).

والمشهور عن السادة الأطهار عليهم السلام من أن نزول آدم عليه السلام كان على الصفا ونزول حواء على المروة، ولكن المشهور عند جمهور المسلمين أن آدم عليه السلام هبط على جبل (سرنديب) ويقال له (نود) أيضا أما حواء فقد هبطت فى جدة (2).

بعدها هبط جبرائيل إلى الأرض ومعه كمية من الحنطة أعطاها إياه وقال:

هنا دار عمل والأرض ليست كالجنة إزرع هذه الحنطة واحصدها واصنع منها العجين ثم أخبره، وجاءه بالنار لكى يخبز الخبز، وبقى آدم على هذه الحال مائة سنة.

وفى يوم جاءه جبرائيل بقطعة من الحديد وعلمه الحدادة

(1) سورة البقرة الآية: 36.
(2) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

والأعمال الشاقة لكى تصبح حياتهم أفضل وقال لهم: إن هذه عقوبة ذلك العصيان وإنكما لا تحصلان على متطلبات العيش إلا من بعد مشقة وعناء ومرت على آدم مائة سنة وهو يبكى ندما ويطلب العفو من الله بعدها نزل جبرائيل عليه السلام وبشره بقبول توبته فبكى آدم مائة سنة أخرى شكرا لنعمة قبول توبته ولأنه وعد بالجنة ولهذا فإن ابن آدم يبكى بعض الأحيان فرحا وأحيانا من الشوق.

وعاش آدم وحواء فى عناء لأنهما تحملا مشقة إنجاز أعمالهم حيث لم تكن وسائل العمل والعيش متوفرة لديهما، واستطاعا شيئا فشيئا وبالتجربة والتفكير والتعليم الغيبى أن يوفروا وسائل العيش.

أبنـــاء آدم:

بعد مرور فترة من الوقت حملت حواء وأنجبت من ذلك الحمل ولدا أسمته (هابيل) وبنتا اسمها (غارورا) والذكر كان أجمل من الأنثى ومرة أخرى أنجبت ولدا وبنتا وكان اسم الولد (قابيل) ولكن الأنثى كانت أجمل من الذكر فى هذه المرة، وهكذا فقد أنجبا مائة وعشرين ولدا.

الوارد عن أهل بيت النبوة فى أمر زواج آدم من حواء ما مضمونه هو أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام من تراب ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، غلب عليه النوم، ففى حال نومه خلق الله تعالى حواء كما خلق آدم من طين من جنس طينة آدم

أو من فاضل طينته، وجعلها إلى جانبه ملتصقة به. فلما أوجد الله فيها الروح أخذت تتحرك فانتبه آدم إلى تحركها فنوديت أن تنحى عنه، فلما نظر آدم إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى فكلمها فتكلمت بلغته، فقال لها: من أنت؟ فقالت: خلقنى الله كما ترى. فخاطب آدم ربه وقال: يارب من هذا الخلق الذى آنسنى قربه والنظر إليه؟ فقال الله تعالى: هذه أمتى حواء أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لأمرك؟ فقال آدم: نعم يارب ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت.

فقال الله تعالى: اخطبها منى لنفسك فإنها أمتى وأنها الصالحة للشهوة أيضا. وقد ألقى الله عليه الشهوة، فقال: يا رب فإنى أخطبها منك لنفسى فما رضاك بذلك؟ فقال سبحانه وتعالى: رضائى أن تعلمها معالم دينى. فقال آدم لك ذلك علىَّ إن شئت ذلك. فقال سبحانه وتعالى: لقد شئت وقد زوجتك إياها على ما شرطت عليك فضمها إليك. فقبل آدم بذلك ورضى ثم قال آدم لها: أقبلى إلىَّ، فقالت: بل أنت أقبل إلى فأمر الله عز وجل آدم أن يقوم إليها فقام إليها، ولولا ذلك لكانت النساء هن يذهبن إلى الرجال ويخطبن لأنفسهن، وهذه قضية زواج آدم وحواء[1].

وعندما بلغ أولاد آدم مبلغا من العمر لم يجدوا من يختارون للزواج، وهنا صدر الأمر بأن يتزوج أنثى البطن اللاحق من ذكر البطن السابق وبالعكس فلا يُحلل للأخ أخذ أخته التى ولدت معه

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

من بطن واحدة وبذلك أصبحت أخت قابيل زوجة لهابيل وبالعكس فإن أخت هابيل أصبحت زوجة لقابيل وبذلك صار أولادهم أولاد عمومة. وطلب آدم أولاده وأبلغهم الأمر، لكن قابيل لم يستجب لهذا الأمر وقال: إن أخت هابيل غير جميلة. فقال آدم: لا مناص لنا إلا أن نمتثل لهذا الأمر وقد أبلغنا الله سبحانه وتعالى بأن الجمال شيء زائل ويجب أن يبقى هذا الأمر متعارفا لدى الناس لكى يرتبط الناس ويزداد التقارب فى هذه الدنيا ولدرء الشك نلجأ إلى القرعة لتعلموا أن هناك فرق بين أمر الله سبحانه وتعالى وما تهواه أنفسنا. وأمر آدم أولاده بأن يأتى كل واحد منهم شيئا عزيزا من كده يقربه قربانا ويضعه فى مكان مرتفع لنرى أيكما يُقبل قربانه فسيحظى بالجميلة من البنات.

وكان هابيل صاحب غنم فأتى بأفضل كباشة، وكان قابيل فلاحا فأتى بكمية رديئة من القمح ووضعا قربانهما فى مرتفع من الأرض ودعا آدم ربه بأن تنزل النار وتحرق القربان المقبول كعلامة للقبول ونزلت النار من السماء وأحرقت قربان هابيل ولم تقرب قربان قابيل، وإنما تقبل قربان هابيل لأنه جاء بأفضل كبش عنده بينما قابيل جاء بحنطة رديئة حيث إن الله يعلم كل شيء ولا تخفى عليه الحيل وبعد ذلك تزوج هابيل أخت قابيل أما قابيل فقد تزوج أخت هابيل ولكن قابيل كان غير راض من الذى حدث وضمر لهابيل حقدا فى قلبه وكانت أول عداوة بين أولاد آدم منشأها النساء والجمال.

قال تعالى في كتابه المجيد: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [1].

ولكن الوارد عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عليهم السلام هو منع زواج الإخوة من أخواتهم وإنكاره أشد الإنكار، وأن سائلا سأل الإمام الصادق عليه السلام وقد أظهر السائل له من أن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات. فقال عليه السلام: سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، أيقول من يقول إن الله تعالى جعل صفوة خلقه وأنبيائه من الحرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، والله لقد نُبئت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فنزى عليها فلما عرفها ونزل عن ظهرها وكشف له عن حقيقة حالها وأنها أخته أخرج ذكره ثم قبض عليه بأسنانه حتى انفصل ثم خر ميتا...

ثم أخذ يبين كيفية بدء النسل من آدم عليه السلام وذريته وأنه ولد قابيل فلما أدرك وبلغ أظهر الله تعالى جنية من ولد الجان يقال لها

(1) سورة المائدة الآيات: 27 - 31.

(جهانة) فى صورة إنسية، فلما رأها قابيل أحبها فأوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوجها من قابيل، ثم ولد لها هابيل فلما أدرك اهبط الله تعالى إلى آدم حورية من الجنة وإسمها (نزلة) فلما رآها أحبها فأوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوجها من هابيل ففعل ذلك، فكانت (نزلة) الحوراء زوجة لهابيل ابن آدم وكانت (جهانة) ابنة الجان زوجة لقابيل ابن آدم وكان النسل منهما... [1].

ويوما قال قابيل لهابيل: لقد وقع على الظلم وغدا سيفتخر أولادك على أولادى بأن أبونا تقبل الله قربانه وأبوكم لم يقبل قربانه.

فقال له هابيل: أنا لا دخل لى فيما جرى يا أخى وإذا ما بسطت يدك لى لتقتلنى فما أنا بباسط يدى إليك وإذا قتلتنى فسوف تكون من الظالمين، وجزاء الظالمين نار جهنم. ولكن قابيل لم يكترث لكلام هابيل وأخذ ينظر إليه نظرة عداء ويبحث عن طريق للإيقاع به.

ويوما من الأيام جاء إبليس بحجر وحية وألقى الحية على الأرض وأخذ يضرب رأسها بالحجر بمرأى من قابيل إلى أن قتلها، فتعلم قابيل من إبليس، واغتنم أول فرصة وانقض بالحجر على رأس هابيل ضربا حتى قتله، وتملكته الحيرة ولم يدر ماذا يصنع كى يخفى جريمته حتى لا يطلع آدم على ذنبه، وفى الأثناء

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

كان هناك غرابان يقتتلان حيث قتل أحدهما الآخر وحفر لـه حفرة بمنقاره وأخذ يواريه فيها، وتعلم قابيل من الغراب كيف يحفر حفرة ويدفن فيها أخاه هابيل حيث كان مضطربا وخائفا. وتفقد آدم هابيل وسأل عنه قابيل فأجابه: بأنه لا يدرى وهو ليس مسؤولا عنه، لكن جبرائيل أخبر آدم بالأمر فقام آدم بطرد قابيل ونفيه وقال له: بما أنك ارتكبت جريمة القتل فسوف لن ترى الراحة والاطمئنان أبدا.

أما آدم وحواء فقد تملكهما الحزن لسنوات طويلة على ولدهما هابيل وقد سلط الله سبحانه وتعالى أولاد هابيل على قابيل.

وأما قابيل فقد ابتعد عن إخوانه وإخواته وبقى يبكى ندما وحزنا على فعلته. وأخذ إبليس يسلى قابيل بقوله: إن المشكله نشأت من أن هابيل كان يعبد النار ولذلك تقبلت النار قربانه وأنت إذا أردت أن تستقر بعد هذا فعليك أن تعبد النار، فخدعه بهذا الكلام وأصبح من عبدة النار وأخذ يدعو من يراه من بنى آدم لعبادة النار ومن ذلك الحين بدأت عبادة النار.

لقد جرب إبليس حيلته الكبرى ورأى إن أفضل طريق لإضلال الناس هو أن يدعوهم لعبادة شىء غير الله وإذا ما فعلوا ذلك عندها سيتقبلون كل شىء يعرض عليهم حيث أن الكفر يعتبر أرضية لنشر الفساد.

إن الوارد عن أهل العلم والعصمة والرسالة عليهم السلام ما

مضمونه إن الله سبحانه وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يضع مواريث النبوة والعلم عند هابيل ويعلمه بما أمر الله تعالى به وما نهى عنه، فلما فعل ذلك وعلم قابيل بما جرى غضب واعترض أباه قائلا: ألست أنا الأكبر من هابيل وأنا الأحق بهذا الأمر ومن الأحرى أن تقدمنى على أخى هابيل؟ فقال له: يا بنى إن الأمر لم يكن بيدى وأنه بيد الله وأن الله تعالى هو الذى خصه بما فعلت ولم أفعله عن أمرى، فإن لم تصدقنى فقربا قربانا فأيكما تقبل الله تعالى قربانه فهو أولى بالفضل وإعطاء مواريث النبوة. وكان قبول القربان فى ذلك العهد هو أن تنزل عليه النار من السماء فتحرقه. وكان قابيل صاحب زرع فقرب قمحا رديئا وكان هابيل صاحب غنم فقرب كبشا سمينا فنزلت النار من السماء وأحرقت قربان هابيل فغضب قابيل غضبا شديدا وأتاه إبليس اللعين ووسوس له وقال: لو أتاكما ذرية وأولادا وكثر نسلكما فلابد أن يفتخر أولاد هابيل على أولادك بقبول قربان أبيهم هابيل وعدم قبول قربانك وبأن الله تعالى قد خص هابيل بمواريث النبوة دونك، وهذا أمر يسبب القلق والذل لأولادك ولئن قتلته قطعت نسله وأرحت أولادك من هذه المصائب وتحمل هذه الشدائد ولم يجد أبوك من يخصه بالمواريث سواك فتفوز بفضلها، فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله [1].

وأما آدم فكان عمره طويلا وعندما حضرته الوفاة بعد مرض طال واحدا وعشرين يوما جمع مجموعة من أولاده وأوصاهم

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

بذكر الله واتباع الطريق المستقيم وخلف بعده ولده شيث ورحل من الدنيا وكان أولاده فى ذلك الوقت قد انقسموا إلى مجموعتين أكثرهم يعبدون الله سبحانه وتعالى والباقى يعبدون النار، والذين يعبدون النار كانوا يعتبرون قابيل عالما وكيسا، وكان شيث كلما أسدى النصح لجماعة لجلبهم إلى الطريق المستقيم تضل جماعة أخرى ويقعون فى حبائل الشيطان.

وقد دفن آدم فى جبل إلى قبيس وتوفيت حواء بعد سنة من وفاته ودفنت إلى جانبه، وبعد طوفان نوح نقل قبر آدم إلى بيت المقدس.

* * * * * * * * *

شيث عليه السلام

النبى الثانى للبشر بعد آدم عليه السلام

معجزات شيث:

1 - هو أول من تكلم العربية.

2 - أنزل الله تعالى عليه خمسين صحيفة لهداية
من أرسل فيهم إلى صراط الله المستقيم.

* * * * * * * * * * * *

حيـــاة شيـــــث

كان شيث أعلم بنى آدم فى عصره، وبوصية من آدم فإنه أصبح خليفته لهداية بنى آدم.

وقالوا: عندما رحل آدم من الدنيا كان عدد أولاده وأحفاده قد بلغ الأربعين ألف نسمة. وانتشروا فى أطراف الأرض التى كانت تتوفر فيها المياه والأراضى الخضراء، وكان قابيل ومن اتبعه يسكنون قريبا من اليمن. وأخذ شيث ينشر التعاليم الدينية التى أوصى آدم بنشرها بين عباد الله، ولكن مجموعة من عباد النار لم يذعنوا ولم يهتدوا واستمر الأمر كذلك إلى أن اصطفى الله سبحانه وتعالى شيثاً وأنزل عليه خمسين صحيفة ليدعوا الناس إلى طريق الهداية والسعادة وقد أوضح لهم شيئا جديدا فى زمان خلافته وآمن به جميع أبناء آدم عدا أتباع قابيل، ولكن أيام شيث كانت قصيرة وكان له ولد يدعى (أنوش) وكان عالما بصيرا بالأمور.

وعندما وصل أنوش إلى سن البلوغ توفى والده شيث فقام بنشر شريعة أبيه ومنهاجه وكان له ولد اسمه (قينان) وكان يدعو الناس أيضا لدين أبيه.

وكان لقينان ولد يدعى (مهلائيل) وكان أجمل أبناء آدم بالإضافة إلى أنه كان خطيبا بليغا، فأخذ يحرض الناس على العمل والعمران والصناعة حيث اتخذت الخلافة فى أيامه رونقا خاصا. وكان الناس فى ذلك الوقت يعتزون بدين مهلائيل فيأتونه بالهدايا

من كل مكان ويطيعون أوامره مسرورين من أسلوب تعامله معهم فى القول والعمل، وقد تقدمت فى أيامه الصناعات وأخذ عصره يزدهر يوما بعد يوم. وعندما توفى مهلائيل واجه أولاده صعوبات كثيرة فى حياتهم حيث كان الناس يشتاقون إلى رؤيته. ولم يكن أولاده بالمستوى المطلوب من فن الإدارة فأخذ الناس يرتدون وسادت الفوضى فى الأعمال واغتنم إبليس الفرصة وجاء إلى أبناء مهلائيل على هيئة شيخ مجرب حكيم وقال لهم: إن روح أبيكم غير راضية عنكم.؟ فقالوا له: لماذا

قال لهم: ألا ترون أن الناس يأتون من الشرق والغرب لزيارة أبيكم ويرجعون خائبين وأخذت الأمور تسير نحو الفوضى وأنتم لا تفكرون بحل.

قالوا له: ماذا نفعل؟

قال: اصنعوا تمثالا فى بيتكم يشبه شكل مهلائيل ضعوا عليه ستارا ولا تخبروا الناس بموته، قولوا لهم لقد أصبح شيخا هرما لا قدرة له على لقاء الناس والحديث معهم وذلك ليأتى الناس لزيارته ولا يقطعوا الأمل من وجوده وستحتفظون بمكانتكم وسترضى عنكم روح مهلائيل.

قالوا: كيف نفعل ذلك وليس لنا خبرة فى فن النحت؟

قال: أناأصنع لكم ذلك حيث أنى أستاذ فى فن نحت التماثيل ولا أريد أجرا على عملى وما أطلبه هو رضا الله ولا غير.

فصنعوا تمثالا لمهلائيل وفعلوا مثلما قال لهم إبليس، وقد دخل السرور على أولاد مهلائيل لأن الناس أخذوا يزورون تمثال أبيهم ويأتون له بالهدايا. عند ذلك أخذ الشيطان يلتقى كل يوم بجماعة ويقول لهم: إن مهلائيل قد رحل من الدنيا وأنتم تزورون تمثالا لمهلائيل فلماذا تقدمون هذه الهدايا لأولاد مهلائيل اصنعوا عندكم تمثالا لمهلائيل وقدموا الهدايا لأولادكم بدلا من أن تقدموها لأولاد مهلائيل.

وبما أن الناس يحبون الاقتصاد فاتبعوا توصيات إبليس لأنها كانت أقرب لما كانوا يحبون، ومن ذلك الوقت شاعت عبادة الأصنام وشيئا فشيئا فقد فَقد أولاد مهلائيل السيطرة على زمام الأمور وأخذ الشيطان يدير الأمور، فانقسم الناس إلى مجاميع، مجموعة تعبد النار وأخرى تعبد الأصنام، ولم تزل فى أذهان الناس الممارسات الجيدة التى اعتادوا عليها فى عبادتهم لله سبحانه وتعالى. وكان الشيطان يريد جرهم أكثر فأكثر إلى الفساد فعلم أحد أولاد قابيل صناعة الخمر وقال له هذا شراب نزل من الجنة ألا تراه كيف يبث النشوة فى رأس شاربه، وقد راجت مسألة شرب الخمور ووسائل اللهو بشكل واسع. وكانوا لا يعتنون بتعاليم آدم وشيث ومهلائيل واستمر الأمر كذلك إلى خلافة النبى إدريس عليه السلام.

* * * * * * * * *

إدريس عليه السلام

هو النبى الثالث للبشر

بعد آدم وشيث عليهما السلام

معجزات إدريس:

1 - رفعه الله تعالى مكانا عليا.

2 - أحياه تعالى بعد أن قبض...

وجاء فى الخبر أن أربعة من الأنبياء أحياء اثنان فى السماء هما إدريس وعيسى عليهما السلام... واثنان فى الأرض هما الخضر وإلياس عليهما السلام.

* * * * * * * * * * * *

فى ذكر النبى إدريس عليه السلام

قال الله تعالى - واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا - قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين، هو إدريس بن برد وقيل باريد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمى إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه أشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر فى علم النجوم والحساب بعثه الله إلى ولد قابيل ثم رفعه إلى السماء وكان سبب رفعه إلى السماء على ما قاله ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب إنى مشيت فى الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد. اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خفف عنى حر الشمس فما حال الذى قضيت على فيه، فقال تعالى إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته إلى ذلك: فقال يارب أجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فأذن الله له فكان إدريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك - لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه إلى

السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أنه أتى إلى ملك الموت فقال له لى إليك حاجة فقال له أفعل لك كل شىء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلى ولكن أن أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر ديوانه فأخبره باسمه وقال إنك كلمتنى فى إنسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك؟ قال إنى لأجده يموت عند مطلع الشمس، قال فإنى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات والله ما بقى من أجل إدريس شىء فرجع الملك فوجده ميتا. قال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم فى زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة أنى أريد أن أعلم من أنت؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له إدريس لى إليك حاجة قال وما هى؟ قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال له لى إليك حاجة أخرى قال وما هى؟ قال: ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى إليك حاجة قال وما تريد؟ قال تسأل

مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أراها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج؟ قال لأن الله تعالى قال:{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ} وقد ذقته وقال تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} وقد وردتها وقال تعالى:{وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فإنه بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة، والله أعلم.

إدريس عليه السلام:

اسمه (أخنوخ) ويلقب بـ إدريس وكان قريب الخطى إذا مشى، كثير الفكرة وهو أول من خط بالقلم وبعد ذلك فإن كل من يتعلم القراءة والكتابة يقال له تعلم الإدريسية، وتسمية الدرس أشتقت من اسمه، وإدريس من أحفاد مهلائيل وكان أنزههم وعندما بُعث نبيا نزلت عليه ثلاثين صحيفة بالإضافة إلى ما نزل على آدم وشيث، وقد حدث تطور فى حياة الناس آنذاك فأول من أمر بمحاربة الأعداء نزل على إدريس، وأول قحط حدث فى زمانه وذلك لانصراف الناس إلى اللهو وتركهم العمل فواجهوا الصعوبات بسبب تركهم طريق الهداية. وقد أمر إدريس الناس بالصيام وذلك لكى يخصص قوتا للفقراء من

القوم ولكى تنتظم الأعمال، وهو أول من أسس المراسلات وعندما رأى توجه الناس إليه أخذ يدعوهم إلى الإيمان جهرا ويحثهم على ترك عبادة النار والأصنام، فآمنت به ثلة وعصت أخرى وكان العصاة من أتباع قابيل.

وطلب إدريس من الله سبحانه وتعالى بأن يأذن له بمحاربة الضالين والقضاء عليهم وقد فعل ذلك، وبقى الناس لمدة طويلة يسيرون على الصراط المستقيم وكلما وسوس لهم الشيطان أجابوه بأننا لم نر سوءا من إدريس وكانوا يأتمرون بأوامر إدريس. وذكروا أنه كان لإدريس ثلاثة وعشرين ولدا ماتوا كلهم فى صغرهم عدا الأخير منهم وهو أصغرهم وكان يدعى (متوشلخ) حيث كان عالما حفظ ما جاء بالصحف الثلاثين التى نزلت على إدريس، وقد مرض (متوشلخ) فى سن العاشرة فحزن إدريس كثيرا لهذا الأمر وقال له جبرائيل: ادعوا الله لسلامة ولدك.

فسأله إدريس: وكيف أدعوا.

قال جبرائيل: سبح الله سبعمائة ألف مرة وعندها فسوف لا ترد لك دعوة وتستطيع أن تطلب لابنك عمر الخالدين.

قال إدريس: أحب أن يبقى إبنى لهداية الناس لا لشىء آخر وإن الله سبحانه وتعالى لا يترك العباد بدون هاد. وقد طلب إدريس لنفسه عمر الخلود.

لقد سبح إدريس ربه سبعمائة ألف مرة وطلب شفاء ولده

وعمر الخلود لنفسه فاستجيب دعاؤه.

وبعد أن وصل ابن إدريس إلى سن الرشد رأى إدريس عزرائيل فقال له: أنا طلبت من الله الخلود فى الدنيا ولكن أحب أن أرى كيفية خروج الروح من البدن؟ فطلب عزرائيل إجازة من الله سبحانه لكى يقبض روح إدريس، فقبض روحه وأعادها إليه ثانية بأمر الله عز وجل.

بعدها طلب إدريس من عزرائيل أن يريه الجنة والنار، فأراه النار أولا ثم الجنة، ولما رأى الجنة قال: ما أحسن هذا المكان الآن وقد اهتدى الناس وأنا ليس لى عمل بعد فى هذه الدنيا حيث سيقوم ابنى بمقامى وقد ذقت غصة الموت وإن الله سبحانه وتعالى قد أذن لمن دخل الجنة بعد الموت بالبقاء فيها.

فقال له عزرائيل: لا تستعجل جئنا معا ونعود معا، فوافق إدريس على كلام عزرائيل ورجع ناسيا عصاه فى الجنة وبعد خروجهما من الجنة تذكر عصاه التى نسيها تحت شجرة طوبى فاستأذن عزرائيل ليرجع إلى عصاه، وبعدها لم ير عزرائيل إدريسا فى الدنيا وعلى هذا الأساس فقد قيل بأن إدريس بقى حيا وإن الله سبحانه وتعالى رفعه مكانا عليا.

قال تعالى فى كتابه الكريم:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} (1).

(1) سورة مريم الآيتان: 56، 57.

نوح نجى الله عليه السلام
أطول الأنبياء عمراً

معجزات نوح:

1 - إجابة دعوته.

2 - نجاته ومن معه فى السفينة من المؤمنين يوم الطوفان...

* * * * * * * * * * * *

نوح نجى الله

لقد قاد ابن إدريس (متوشلخ) الناس لسنين طويلة إلى طريق الهداية وبعد وفاته أخذ الناس يعبدون الأصنام وذلك بتأثير حيل الشيطان، وانتشر الفساد فى الأرض، عندها اضطلع نوح وهو من أحفاد إدريس بدعوة الناس إلى التوحيد ولكن الناس لم يعطوا أذنا صاغية لدعوته.

واسم نوح (سكن) ولقبه كما ورد فى الروايات (النجى) وكان يزول مهنة النجارة. وعندما كان يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل والعمل الصالح كان يقول الناس: كيف ينصحنا عامل نجار.

وقد عانى من ضلالة قومه وكان يئن ويبكى حتى سمى نوحا وهو أطول الناس عمرا، ومن ثباته على الدين كان يتمنى أن يأتيه أمر أو معجزة لكى يصدقه الناس وكانت إرادة الله كذلك وعندما بعث نوح رسولا كان عمره آنذاك أربعمائة وسبعين سنة وكان يبدو شابا، وبالرغم من بعثته نبيا ونزول الوحى والكتاب لكن الناس لم يصغوا لنصائحه لأنهم كانوا فى ضلال بعيد.

قال تعالى فى محكم كتابه: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}**[1].

(1) سورة نوح الآيات 1 - 4.

ونوح أول نبى من أولى العزم لأنه بعث إلى الناس كافة ولكن بالرغم من دعوته الطويلة المستمرة للناس فلم يؤمن به إلا القليل منهم ولذا فإن عدد الذين آمنوا به خلال مائة وعشرين سنة كانوا لا يتجاوزون الثمانين، وكان أتباعه يعانون العذاب والألم فى مواجهتهم لأهل الضلالة من القوم. وقد أخرج نوح وأتباعه عدة مرات من المدينة، ولكنه كان مواظبا بصبر وجلد على نصيحة قومه ويدعو الله لهداية قومه الذين كانوا يصرون فى عنادهم وعدائهم له، وكلما دعاهم إلى التصديق بنبوته والانقياد لأوامره فإنهم كانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم وينفضون من حوله كى لا يسمعوا وعظه، وأحيانا فإن الناس يأتون بأولادهم ويشيرون إلى نوح بأنه كاذب وساحر فلا تسمعوا كلامه، وبما أنه ذو عمر طويل فيوصون أولادهم بضرورة أخبار أولادهم عنه. واستمر الأمر على هذا الحال إلى حد إذا أراد شخص أن يسمع كلام نوح ويتأمل به فإن الأعيان المتنفذين فى المجتمع لا يسمحون له بذلك، وكانوا يفتعلون لنوح وقومه المشاكل كى يعزلوهم عن المجتمع.

قال تعالى فى كتابه المجيد:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ

أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [1] ووصل الأمر إلى حد نفذ معه صبر نوح ويئس من هداية قومه مع كل ما كان يتصف به من الصبر والتحمل والمقاومة. وأخذ يشتكى إلى الله مما لاقاه من قومه وقال: إلهى إننى سعيت مئات السنين ولم أجزع بالرغم من الصعوبات التى واجهتنى ولم أبخل فى هدايتهم ولكنهم لم يهتدوا إلى الطريق المستقيم.

اللهم لا تبق من الضالين على الأرض. فأخبره جبرائيل بأن دعاءك مستجاب وعليك بالصبر والجلد لمدة أخرى.

قال تعالى فى كتابه العزيز: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} [2].

(1) سورة هود الآيات: 25 - 31.
(2) سورة نوح، الآيات: 5 - 12.

إلى أن يقول:{قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} (1).

وقال تعالى أيضا فى كتابه الكريم:{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا} (2).

لقد تعرضت لقصة نوح ثمانية وعشرون سورة من سور القرآن الكريم فى ثلاثة وأربعين موضعا، وذكرت قصة نوح مفصلا فى ستة سور منها: الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، القمر وسورة نوح فكان فيها الشرح الوافى لأحوال نوح إليه السلام وهى متفقة المضمون فى الجملة وإن تفاوتت فى اللفظ وتغايرت بسبب سبك الكلام وصياغته. فبعض تلك الآيات الكريمة تعطينا صورة خاصة من البيان فى أحوال شيخ المرسلين وما تعرض له مع قومه، أن نوحا حينما بُعث رسولا إلى قومه وظهرت على يده المعجزات وظهرت كراماته وبزغ نور النبوة وشع فجر الرسالة وشمسها اتبعه ممن هداه الله إلى دينه بعد إن كانوا على عبادة الأصنام عاكفين وامتنع الأكثر وكذبوه واحتقروه ومن اتبعه واستغربوا جدا أن يبعث رجل منهم هو أقلهم مالا ورجالا ودونهم صيتا، ويرون أنه لم يميز عنهم بحسب ولا نسب

(1) سورة نوح، الآيتان: 21، 22.
(2) سورة نوح، الآيات: 26 - 28.

ولا علم ولا كرم بل هو منهم ومثلهم فى ذلك، بل يرون أنهم هو الأولى والأمثل لمثل هذا لأنهم الرؤساء وأهل الثراء [1].

وجاءه جبرائيل بأقلام من شجرة الساج وقال له اشتل هذه الأشجار وإذا ما كبرت هذه الأشجار فسيأتى الفرج فإن الأمور لا تجرى إلا بأسبابها، وبالصبر تحل كل المصاعب. وعلم نوح بأن يجب عليه الصبر أربعين سنة لأن شجرة الساج تحتاج إلى أربعين سنة لتكبر، وبعد غرس الأشجار أخذ يخبر الضالين من قومه بقرب نزول العذاب عليهم. وأخذوا يجادلونه ويقولون له: إنك تريد الرئاسة علينا ونحن لا نرضاك رئيسا، والآن جئت تخوفنا بالعذاب، إذا كنت صادقا فيما تقول، فافعل ما أنت فاعل لقد ملئت آذاننا من هذا الكلام. واستمر نوح بوعظ قومه وإرسال أتباعه إلى كافة أنحاء البلاد ليبلغوا رسالته. وكان قومه يستهزئون به كثيرا والأعيان منهم يصفونه بالجنون ويوصون بعدم سمع وعظه.

ولما كبرت الأشجار هبط جبرائيل وقال له: اقطع هذه الأشجار واصنع منها سفينة. فقال له نوح: وكيف تكون السفينة؟ قال له جبرائيل: هيء الألواح حتى أعلمك كيف تصنعها، وامتثل نوح إلى الأمر وصنع سفينة ذات سبع طوابق طولها 1000 ذراع وعرضها أربعمائة ذراع، وكان كلما مر عليه قومه ويسألونه ماذا تصنع فيقول لهم اصنع سفينة النجاة. وسوف يرسل الله طوفانا يُغرق فيه المعاندين وينجى الصالحين فكانوا يضحكون

(1) الأنبياء حياتهم قصصهم - عبد الصاحب الحسنى العاملى.

ويستهزئون منه ويقولون من أين يأتى الماء الكثير لهذه الصحراء القاحلة، فيجيبهم انتظروا فسوف يأتى اليوم الذى نسخر فيه منكم.

قال تعالى فى كتابه العزيز:{وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}(1).

ورد فى بعض الروايات ما مضمونه: إنه لما أظهر الله سبحانه وتعالى نبوة نوح عليه السلام وأيقن شيعته بالفرج وغلبة أمره ونصرته على أعدائه الكفرة الملحدين، وكان كلما دعاهم نوح إلى دين الحق والعمل فيه وعبادة الحق تعالى ثاروا عليه وتوجهوا نحوه بالأذى والإضرار به وبقومه وذلك ضمن مدة ثلاثمائة سنة من مبعثه وهو فى خلال ذلك طيلة هذه المدة يدعوهم ليلا ونهارا فينفرون منه ثم يدعوهم سرا فلا يجيبون، ويدعوهم علانية فيعرضون كبرا وعتوا ولا يكترثون به وبدعوته، فهم بعد مضى هذه المدة بالدعاء عليهم بالهلاك والدمار، هبط عليه ملائكة من الله يأمرونه بتأجيل الدعاء عليهم والصبر والتحمل اتماما للحجة، ثم استأنف العمل معهم والدعاء لهم إلى طاعة الله تعالى وأخذ فى ترغيبهم ونصحهم وإرشادهم إلى مثل ما كان معهم أولا إلى مدة

(1) سورة هود، الآيات: 36 - 39.

ثلاثمائة سنة أخرى، حتى إذا انقضت هذه المدة ويئس من إيمانهم توجه للدعاء عليهم بالهلاك، وإذا بوفد من الملائكة نزلت عليه من قبل الله تعالى تأمره فلم ينفع معهم شيء وقد نفذ صبر شيعته ومواليه فصاروا إليه وشكوا ما هم فيه وما نالهم من عامة الناس والطواغيت، ثم سألوه الفرج والدعاء بالفرج فأجابهم إلى ذلك ثم توجه إلى الصلاة والدعاء عليهم فهبط عليه جبرائيل عليه السلام من قبل الله تعالى وقال له إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فى قومه ولكن قبل تنجيز الأمر فيهم يريد الله منك أن تأمر مواليك وشيعتك والتابعين لك أن تغرسوا نوى التمر فإذا كبر فرج الله عنهم ثم عرفهم كيف يصنعون فاستبشروا عندما علموا أن الفرج قريب.

وكان سبب التأخير هو التمحيص والتصفية وإخراج أهل النفاق أو أهل الإيمان المستودع.

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قال: «**إنه لما أراد الله أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى إليه أن يشق ألواح الساج وهو شجر عظيم جدا لا ينبت إلا ببلاد الهند وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه كما فى أقرب الموارد، فلما شقها لم يدر ما يصنع بها فهبط عليه الأمين جبرائيل عليه السلام فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت فيه مائة وتسعة وعشرون ألف مسمار فسمر المسامير كلها فكانت قدر الحاجة للسفينة، وقد أمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل عليه السلام أن يعلم نوحا كيف يصنعها، فقال نوح يا رب من الذى يعملها ويصنعها ويعيننى على إتمامها واتخاذها فأوحى الله**

تعالى إليه أن ينادى فى قومه وعامة الناس وأهل العمل ويدعوهم إلى العمل ويبالغ فى أجورهم وإكرامهم، فنادى نوح فى قومه وأعلمهم أنه من اشتغل معى بنصح وأمانة حسب ما آمره فله الجزاء الجزيل والأجر البالغ الكثير فأجابوا وباشروا فى العمل كل فرد حسب حاله ومهنته ومهارته وحرفته فأعانوه على صنعها وكانوا يسخرون منه ويقولون يتخذ سفينة فى البر» [1].

وعندما اكتمل بناء السفينة أتم نوح الحجة على قومه وقال لهم: كل من يؤمن بالله يلتحق بنا قبل فوات الأوان فإن الله لا زال يقبل توبتكم وإذا ما جاء الطوفان فلا ينجو منه إلا المؤمنون، ومع ذلك كانوا يستهزئون به.

وعندها جاء الأمر الإلهى إلى نوح إنه سوف نهلك الكافرين ولم يبق منهم أحد إلا من يتوب من عبادة الأصنام ويؤمن بالله الواحد الأحد. فأدخل فى السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانان وفى يوم كانت فيه امرأة نوح تخبز الخبز فإذا بها ترى الماء ينبع من التنور فأخبرت نوحا بذلك فقال عليه السلام: إن وعد الله حق. وبدأ الطوفان ودعا نوح الناس للإيمان وللمرة الأخيرة ولكنهم لم يستجيبوا دعوته وقالوا: إننا لا نخاف من الماء، واستمر المطر من السماء وانفجرت العيون من الأرض أربعين يوما بأيامها ولياليها وغُمرت الأرض بالماء، واستقر نوح ومعه ثمانين من الذين آمنوا معه من رجال ونساء، وارتفعت السفينة على

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

الأرض ونصحهم بأن يتوبوا فما زال باب التوبة مفتوح وقال لهم: أرأيتم كيف نزل العذاب؟ فقالوا: إن الجبال عالية ونلجأ إلى قممها ولا نتحمل منة نجار ولا نتراجع عن معتقداتنا. وكان ابن نوح من الكافرين وكلما نصحه نوح فلم يفد فيه النصح وكان يجيب أباه: إننا شباب وسنلجأ إلى قمة الجبل.

فقال له نوح: لا ينجو إلا من ركب معنا فى السفينة، ولكن ابنه لم يسمع كلامه وفى الأثناء ارتفع الموج وأصبح حائلا بينه وبين ابنه، ورق قلب نوح على ابنه وخاطب ربه: رب إن ابنى من أهلى.

فأجابه تعالى:{يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}.

وغمرت المياه اليابسة وطفت السفينة على الماء وغرق كل من فى الأرض من مخلوقات من بنى آدم وحيوانات ووصل الماء إلى أربعين ذراعا فوق قمم أعلى الجبال وبقيت سفينة نوح طافية على الماء ستة أشهر، وكان لا يرى إلا الماء يغمر الأرض وقويت قلوب المؤمنين بالله عندما تجلت لهم عظمته فكانوا يحمدون الله على هذه العظمة، ولما انقضى الأمر انقطع المطر وابتلعت الأرض مياهها واستقرت سفينة نوح على جبل الجودى.

قال تعالى فى كتابه العزيز:{حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ

وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1] وبعد مدة عاد الناس ثانية ينتشرون على الأرض وتطهرت الأرض من الضلالة والكفر وبدأ الناس يتناسلون إلى أن ازداد عددهم بعدها التقى نوح بإبليس وكان إبليس ضاحكا ومسرورا. فقال نوح لإبليس: لماذا تضحك. فأجابه: أنا أضحك من عملك كيف أغرقت هؤلاء الكفرة وذهبوا إلى نار جهنم ليكونوا من أنصارى واغتم نوح من كلامه ودعا عليه باللعنة، فقال إبليس: وهل يوجد أكثر من اللعنة فإنى ملعون والآن وقد أصبح عملى قليل ولا أخشى على أحد من التوبة فأنا مستعد أن أجيبك إجابة صحيحة على سؤال تسألنى إياه، فسأله نوح: إذا

(1) سورة هود، الآيات: 40 - 48.

كنت صادقا فقل لى أى الصفات تجعل الناس جهنميين أكثر من غيرها.

فأجابه الشيطان: أربعة أشياء:

الأولى: الحسد، فإنى عبدت الله سبعين ألف سنة ولكن الحسد منعنى من أن أسجد لآدم وذهب أجرى أدراج الرياح.

الثانية: الكبر - فعندما سألنى الله لماذا لم تسجد لآدم، قلت له: أنا أفضل منه، وهذا ناشئ من الكبر وحقت على لعنة الله ولعله لو انتحلت عذرا آخر فإن باب العفو لا يسد بوجهى.

الثالثة: الحرص، فإن آدم حرص على أن يأكل من الشجرة ولو لم يفعل ذلك لبقى فى الجنة وكان آدم يأكل من كافة نعم الجنة ولكنه من حرصه لم يمتنع من الأكل من الشجرة الممنوعة فأوقع نفسه وأبناؤه فى العذاب.

الرابعة: الركون إلى عبادة الجمال بدل الإحسان، فقد نسى قابيل الإحسان وفى سبيل الحصول على الجمال وضع أساس الضلالة فى الدنيا.

وقد عمر نوح تسعمائة وخمسين سنة، وقال البعض: إن نوحا توفى بعد أربعين سنة من الطوفان.

****

هـــود عليه السلام

قومه عاد{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}

معجزة هود:

أهلك الله عز وجل قومه بالريح
الصرصر العاتية ونجاه سبحانه ومن
معه من المؤمنين.

* * * * * * * * * * * *

هـــود عليه السلام

وهو حفيد سام بن نوح ومن نبوة نوح إلى نبوة هود لم يبعث الله أنبياء، وقد أرسل هود ليدعو قوم عاد إلى عبادة الواحد الحق حيث كانوا يعبدون الأصنام.

قال تعالى فى كتابه الكريم:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ} (1).

وكان زعيمهم يدعى عاد وهو رجل قوى وقومه مرفهين منعمين يعيشون بعيدا عن الأقوام الأخرى، وقد جاءهم الشيطان يوما ليسألهم: ماذا تعبدون؟

قالوا: لقد سمعنا بأن نوحا كان نبيا عظيما ودينه دين الحق.

قال الشيطان: إن العظمة والصغر ليست مقياسا، العظيم من عرف الحق، المهم إن الناس عندما استهانوا بعبادة الأصنام استحقوا الطوفان، وإذا كنتم تطلبون السعادة فيجب أن تعبدوا أصنام سفينة نوح، فأخرج لهم من بين الرسوبات الطينية لطوفان نوح أصناما حجرية وقال لهم: إن هؤلاء عندما كانوا محترمين لم يأت الطوفان فلما استهانوا بهم جاء الطوفان ودمر كل شىء ولكن هذه الأصنام بقيت سالمة، وكان نوح قد اتخذ صنما كبيرا وضعه فى السفينة وكان يدعو الناس إلى عبادة الله ولو كانت هذه الأصنام محترمة لما جاء الطوفان. فخاف عاد وقومه من كلام الشيطان

(1) سورة هود، الآية: 50.

ولجأوا إلى عبادة الأصنام خشية وقوع طوفان آخر وكانوا منقطعين عن الأقوام الأخرى. أما هود فقد كان يعيش بين هؤلاء ويتألم من انحرافهم وضلالتهم ولما انتشر الفساد بعثه الله لهدايتهم. ولما أعلن هود دعوته لم يستجب له قوم عاد وقالوا له: إنا لا نراك إلا شخصا صالحا ونحن نخاف من الطوفان ولا نستطيع ترك آلهتنا.

فقال لهم هود: لقد أضلكم الشيطان وإن الله سبحانه إنما جاء بالطوفان لكى يجتث جذور عبادة الأصنام.

قالوا: إن هذه الأصنام أفضل لنا لأنها لا تأتى بالطوفان وأنت جعلت من عبادة الله حجة تطلب بها الرئاسة علينا. قال هود: أنا رسول الله إليكم ولا أطلب منكم شيئا وأريد أن تنهجوا طريق العدالة والصلاح لتسعدوا فى حياتكم.

قالوا له: إنك منا ونحن نكن لك الحب والاحترام لو تركت هذا الكلام وعشت كواحد مثلنا.

قال لهم هود: أتعجبون أن يبعث الله نبيا من بينكم يهديكم إلى الطريق المستقيم ويريد أن تكونوا خلفاء عباد الله بعد نوح وأتباعه وتكونوا أفضل الناس.

قالوا له: إن أى شخص يستطيع أن يدعى ادعاءك هذا، وإلى الآن لم ير أحد منا إلهك وإذا كنت صادقا فأتنا بدليل على ادعائك وإذا استمر إصرارك على هذا الكلام فسوف نخرجك من بيننا

نحن الآن نعمل ما نريد وأنت تقيدنا فى أوامرك ونواهيك وتمنعنا من لذائذ العيش فى حين أن الأصنام لا يفعلون ذلك.

قال تعالى يصور حال قوم هود:{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ * قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}(1) وعندما يئس هود من هداية قومه لما رآهم قد اتبعوا أهواءهم ولا يسمعون قول الحق ولا ينتهون من فعل الباطل قال لهم: إذا اصررتم على الضلالة فإنكم لا تضرون الله شيئا وسوف يستبدلكم بأحسن منكم. ودعا هود ربه فأرسل عليهم ريحا شديدة البرد وأهلك الكافرين من القوم ونجا هو وبعض من آمن وقطع دابر الفساد فى الأرض.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف هذا الحادث:{وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ

(1) سورة هود الآيات: 52 - 57.

هُودٍ} [1].

وتوفى هود عليه السلام بعد مرور سبع وعشرين سنة على هلاك قومه. واستمر إبليس فى غوايته للناس وعندما رأى أن قوم ثمود أكثر استعدادا للغواية من الأقوام الأخرى ذهب فى أوساطهم وصنع لهم صنما وحفر تحته نفقا وكان يدخل تحت الصنم ويتكلم مع الناس فيأمر وينهى ويقول لهم ما يخيفهم أو يبعث فى نفوسهم الرجاء والأمل، وشيئا فشيئا شغف حب الصنم الحجرى قلوبهم وقالوا: عجبا حجر يتكلم إن هذا يعنى شيئا. فصنعوا أصناما على غرار ذلك الصنم الكبير وانتحل صفة إله الآلهة فأخذ يجيبهم على أسئلتهم التى كانوا يسألونها، فنحتوا أصناما فى بيوتهم واعتبروها ممثلة الصنم الكبير إله الآلهة.

جاء فى تفسير على بن إبراهيم: إن عادا كانت بلادهم فى البادية وكان لهم زرع ونخل كثير وكانت لهم أعمار طويلة وأجسام طويلة فعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم هودا يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا وكان هود مزارعا وكان يسقى الأرض فجاء قوم إلى بابه يريدونه فخرجت إليهم امرأة شمطاء عوراء فقالت لهم: من أنتم وماذا تريدون؟ فقالوا لها: نحن من بلاد كذا وكذا جدبت بلادنا وقحطنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله تعالى حتى تمطر وتخصب بلادنا. فقالت لهم:لو استجيب لهود لدعا لنفسه هذه بلاده

(1) سورة هود الآيات: 58 - 60.

أجدبت وزرعه احترق لقلة الماء فقالوا لها: فأين هو؟ قالت: هو فى موضع كذا وكذا فقصدوا إليه وشكوا له حالهم وقالوا له: يا نبى الله إن بلادنا قد أجدبت وجئنا لتدعوا لنا الله وتسأله أن يمطر على بلادنا فلما سمع منهم وعرف حاجتهم قام فصلى ودعا الله تعالى لهم، ثم قال لهم: ارجعوا إلى بلادكم فقد أمطرتم، فقالوا له ما صادفوه ولاقوه من تلك المرأة فى بيته فقالوا: يا نبى الله رأينا فى بيتك عجبا امرأة شمطاء عوراء وحكوا له ما جرى لهم معها وجوابها لهم فقال عليه السلام: هى امرأتى وأنا أدعوا الله لها بطول البقاء. فقالوا: وكيف ذلك فقال لهم: لأن الله ما خلق مؤمنا إلا وله عدو يؤذيه وهى عدوى فلأن يكون عدوى ممن أملكه خير من أن يكون عدوى ممن يملكنى.

فبقى هود عليه السلام فى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة الأوثان كى يسعدوا فى الدنيا والآخرة فتخصب بلادهم وتكثر أرزاقهم ويفوزوا بنعيم الآخرة، وهو قوله تعالى:**{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ * قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}** [1] فلما لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الريح الصرصر وهى الشديدة البرد وهو قوله تعالى فى سورة القمر:**{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا**

(1) سورة هود: الآية: 52.

صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ} [1] وفى سورة الحاقة:{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [2] فحسوم أى متتابعة وكانت أول الثمانية أيام أربعاء وآخرها وهو النحس المستمر [3].

ولقد بلغ الانحراف بقوم عاد أن أشركوا بالله وعبدوا الأصنام فكانوا بذلك أول من عبد الأصنام بعد الطوفان فأرسل الله لهم هود عليه السلام وأخذ هود عليه السلام يبشر بالتوحيد شأنه شأن الأنبياء جميعا وكان موقف السادة الكبراء أو على حد تعبير القرآن الكريم كان موقف الملأ الذى كفروا من قومه العداوة والبغضاء والرمى بالسفاهة والكذب وفشوا فى الأرض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قواهم التى آتاهم الله تعالى وقد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى:{وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} أى عظما وطولا وقوة وشدة.

ولم ييأس هود عليه السلام منهم وإنما أخذ يذكرهم بنعم الله الظاهرة والباطنة التى يتقلبون فيها والتى تستوجب منهم الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى.

ثم هددهم هود بالقانون الإلهى الثابت وهو أنهم إذا أعرضوا ورفضوا واستكبروا فإن عقاب الله سبحانه وتعالى نازل بهم وتلك

(1) سورة القمر: الآيتان: 18، 19.
(2) سورة الحاقة: الآيتان: 6، 7.
(3) الأنبياء حياتهم وقصصهم - عبد الصاحب الحسنى العاملى.

سنة الله فى خلقه.

ومع هذا التهديد من هود عليه السلام لهم فلم يستجيبوا لتهديده واستمروا يتابعون أهوائهم فيبنون على الروابى والمرتفعات قصورا هى آيات فى الفن.

وظلوا سادرين فى غيهم لا يستجيبون لنداء الحق ولا يرجعون عن الباطل. بل تمادوا فى باطلهم وعنادهم وسخروا من هود عليه السلام ومن اتبعه وأعلنواها صريحة: **{إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}** (1).

وطلبوا من هود عليه السلام أن يعجل لهم العذاب الذى وعدهم به بعد هذا التحدى منهم لم يبق لهود عليه السلام إلا قبول التحدى. لم يبق إلا التوجه إلى الله وحده. لم يبق أمامه إلا إنذار أخير ينطوى على وعيد للمكذبين وتهديد.

وهكذا فقد توكل على الله والله هو القوى بحق وهو الآخذ بناصية كل دابة فى الأرض سواء الدواب من الناس أو دواب الوحوش أو الحيوان لا شىء يعجز الله سبحانه وتعالى.

وهو فى حديثه لهم يفهمهم أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة التى أرسل لهم بها وما داموا على هذا العناد والاستكبار فسوف يستخلف الله قوما غيرهم سوف يستبدل بهم قوما آخرين وهذا معناه أن ينتظروا العذاب الذى سيقع بهم من عند الله وهذا قانون

(1) من الآية رقم (37) من سورة المؤمنون.

من قوانين الحياة يعذب الله الذين كفروا برسله وكذبوهم وسخروا منهم مهما يكونوا أقوياء أو أغنياء أو جبابرة أو عمالقة. فانتظر هود عليه السلام وانتظر قومه وعد الله.

معجزة هود عليه السلام ونجاته من الريح العقيم التى أهلكت قومه :

قال الله تعالى:{قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاء فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

وقال الله تعالى:{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}.

وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاكهم فى غير ما آية من القرآن الكريم وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال الله تعالى:{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا ممحلين سنتين فطلبوا السقيا فرأوا عارضا فى السماء وظنوه سقيا رحمة فإذا سقيا عذاب ولهذا قال الله تعالى:{... بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ...} أى من نوع العذاب وهو قولهم:{...فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.

وقد ذكر المفسرون وغيرهم الخبر الذى ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن بشار قال: فلما أبو إلا الكفر حبس الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فبعثوا إلى مكة وفدا يستسقى لهم. وكانوا سبعين رجلا منهم قيل ونعيم وجُلهمة ولقمان بن عاد ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم إيمانه وكان الناس مؤمنهم وكافرهم إذا جهدوا سألوا الله تعالى عند الكعبة فنزلوا على بكر بن معاوية وكان خارجا من الحرم فأكرمهم وكانوا أصهاره وأخواله وكان سكان مكة العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح فجعل بكر يسقيهم الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى بكر طول مقامهم عنده قال: هلك أخوالى وأصهارى هؤلاء ضيفى فما أدرى ما أصنع وأستحى أن آمرهم بالخروج فشكا ذلك إلى قنيتيه الجرادتين فقالتا: قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال:

ألا يا قيل ويحك قم فيهم ::: لعل الله يمنحنا غما ما
فتسقى أرض عاد إن عادا ::: قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ::: به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ::: وقد أمست نساؤهم عيامى [1]
وإن الوحش تأتيهم نهارا ::: ولا تخشى لعادى سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ::: نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ::: ولا لُقوا التحية والسلاما

فلما: سمعوا هذا قالوا: ويحكم أدخلوا الحرم فاستسقوا لقومكم

(1) وهى العطشى.

فقال مرثد: إنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فقال جلهمة: احبسوا عنا هذا ولا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود ثم خرجوا يستسقون فنشأت ثلاث سحائب: بيضاء، وحمراء، وسوداء ثم نودى منها يا قيل اختبر فقال: أختار السوداء لأنها أكثر ماء وقيل للوفد اختاروا فقال مرثد: يارب أعطنى صدق وبرا فأعطى وقال لقمان بن عاد أعطنى عمراً فأعطاه. وأما السحابة فساقها الله، فقال إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له مغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا: **{هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا}**. فكان أول من رأى ما فيها امرأة منهم فصاحت وصعقت فقيل لها: ما رأيت؟ فقالت: ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودنها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى متتابعة ابتدأت غدوة الأربعاء آخر أربعاء فى الشهرة وسكنت فى اليوم الثامن.

واعتزل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبهم منها إلا ما يلين الجلود وتلتذ عليه النفوس فكان الريح تقلع الشجر وتهدم البيوت وترفع الرجال والنساء بين السماء والأرض فتدق رقابهم فيبين الرأس عن الجسد فذلك معنى قول الله تعالى: **{...كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}** [1] ثم تدفعهم بالحجارة قال عمر بن ميمون: كانت الريح تحمل الظعينة [2].

روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: أول من عرفوا أنه

(1) من الآية رقم (7) من سورة الحاقة.
(2) المرأة فى الهودج ثم قيل للمرأة وهى فى بيتها ظعينة.

عاب رأوا ما كان خارجا من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح ففتحت أبوابهم وهالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم قبضت أرواحهم وطرحتهم الريح وألقوا فى البحر{...فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ...}[1].

وقال مقاتل: بعث الله طيرا أسود فالتقطهم حتى ألقاهم فى البحر [2].

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بلا كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض مما يلى المشرق والمغرب قال فقال الحزان: يا رب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلكت بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله تعالى إليها: أن ارجعى فأخرجى على قدر خرقة الخاتم وهى الحلقة قال: فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحد من عاد إلا أهلكته وكان هود عليه السلام ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلتذ به الأنفس وأنها من عاد لطعن لهم وهلاك فتحملهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا.

قال ابن بشار: لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال

(1) من الآية رقم (25) من سورة الأحقاف.
(2) التبصرة: لابن الجوزى، تحقيق د/ مصطفى عبدالواحد، ط الحلبى.

تسعة رهط منهم. أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى:{... **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**} [1].

لم يعد باقيا من قوم هود إلا ما يبقى من النخيل الميت مجرد غلاف خارجى لا تكاد تضع يدك عليه حتى يتطاير ذرات فى الهواء ونجا هود عليه السلام هو ومن آمن معه وهلك الجبابرة ونزل الستار على قوم هود.

عن عطاء بن أبى رباح عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «**اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**» قلت: وإذا عببت[2] السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال: «**لعله يا عائشة كما قال قوم عاد**»{**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا**} [3]. وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام فى بلاد اليمن وذكر آخرون أنه بدمشق وبجامعها مكان فى حائطه

(1) من الآية رقم (7) من سورة الحاقة.
(2) أى أصابهم غيم.
(3) رواه الترمذى وابن ماجه.

القبلى يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام.

* * * * * * * * * *

صالح عليه السلام

قومه ثمود:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}

معجزة صالح:

الناقة{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ
رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا}.

* * * * * * * * * * * *

صالح عليه السلام

صالح عليه السلام من قوم ثمود وإلى أن بعثه الله نبيا لم يبعث نبى بعد هود وكان يشكو إلى ربه ضلالة قومه ويقول:

إن الفساد والضلال مثل الوباء والطاعون ينتقل كل يوم بالعدوى إلى مجموعة من الناس، فكان همه نصيحة الناس ووعظهم إلى أن بعثه الله نبيا.

ولأنه كان يعلم بقدرته على إبلاغ رسالات الله جاء إلى قوم ثمود وأخذ يدعوهم جهرا للإيمان بالله.

فقال له قوم ثمود: ماذا تدعى أنت، إن لدينا صنما يتكلم فهل تستطيع أنت أن تجعل الحجر يتكلم، إذا كنت صادقا فأتى بمعجزة أكبر من هذه، هل تستطيع إحياء الحجر.

قال لهم صالح: إن الله الواحد الذى لا مثيل له بقادر على كل شىء وإذا شاء الله فإنى أستطيع أن أجعل من الحجر والخشب كائنا ذا روح.

قالوا له: إذا كنت تسطيع فأخرج لنا من هذا الجبل ناقة بحيث يمكننا أن نشرب منها لبنا، وإذا ما تمكنت من هذا الأمر فسنعلم أنك تمثل شيئا.

فقال لهم صالح: بشرط أن تؤمنوا بالله وتكسروا الأوثان والتماثيل ولا تؤذوا الناقة أو تقتلوها وإذ نكثتم عهدكم فاستعدوا

لوقوع العذاب.

فوافقوا على ذلك ظنا منهم أن صالحا لا يستطيع أن يأتى بهذه المعجزة.

ولكن بإرادة الله ودعاء صالح خرجت الناقة من الجبل وانقسم قومه إلى طائفتين حيث آمنت به ثلة قليلة وأصر القسم الكبير منهم على عنادهم وقالوا: إن صالحا ساحر وإن الناقة ليست حقيقية بل هى جن. وعندما تجلت معجزة صالح للعيان خاف ثمود وكان سيد قومه على ضياع رئاسته فأخذ يحذر الناس من صالح ويقول لهم: إن هذا الرجل يخدعكم وسوف ترون ماذا سيحل بكم، حيث ستشرب الناقة كل ما ينبع من ماء فتجف البساتين والمزارع.

قال تعالى فى كتابه المجيد: **{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}** (1).

فى الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام ما مضمونه: أن صالحا

(1) سورة هود، الآيات: 61 - 64.

بعث إلى قومه وهو ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ مائة وعشرين سنة لا يجيبونه إلى خير، وكان لهم سبعون صناما يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قال لهم: يا قوم إنى بعثت إليكم وأنا ابن ستة عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أحد أمرين إن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتنى بالذى أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتمونى، فقالوا له: يا صالح سل من شئت منهم. فقال لكبيرهم بإسمه: يا فلان أجبنى، فلم يجبه، فقال صالح: ما له لا يجيبنى؟ فقالوا له: سل غيره فأقبل على أصنامهم يسألها واحدا بعد واحد فلم تجبه فقال لهم: يا قوم قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبنى فاسألونى حتى أدعوا إلهى فيجيبكم الساعة فانتدب له منهم سبعون رجلا من كبارهم وهم وجوه القوم وقالوا له: إن أجابنا ربك فلا يخالف من قومنا أحد ثم مضوا معه إلى جبل فى قربهم حسب طلبهم فلما انتهوا إليه قالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء وبراء عشراء (أى شديدة الحمرة والوبر والعشراء التى عليها الحمل عشرة أشهر) فقال لهم صالح: لقد سألتمونى شيئا يعظم علىّ ويهون على ربى سبحانه وتعالى ثم إنه بمجرد ما سأل صالح ربه عظمت آلاؤه انصدع الجبل صدعا كادت أن تطير منه عقولهم عند سماع انشقاقه وانفلاقه ثم اضطرب الجبل وارتعش ارتعاشا شديدا كالمرأة إذا أخذها المخاض والطلق عند الولادة ثم ظهر رأسها من ذلك الصدع وأخذت تخرج حتى استوت قائمة

على الأرض فلما رأوا ذلك قالوا لـه يا صـالح مـا أسرع مـا أجابك ربك ادع لنا ربك أن يخرج لنا فصيلها فسأل الله ذلك فرمت به من بطنها فدب حولها، فقال لهم: يا قوم أبقى شيء؟ فقالوا: لا. ثم إنهم انطلقوا معه إلى قومهم والناقة وفصيلها معهم فقبل وصولهم إليهم ارتد منهم خمسة وستون رجلا وبقى ثابتا منهم خمسة أشخاص وقال جمهورهم إن هذا لسحر ولا حقيقة لـه [1].

وأثار ثمود العداوة بين صالح وبين من يحيط بـه من قومـه، فجاؤوا إلى صالح وقالوا لـه: أيصح أن تشرب الناقة مياهنا ويبقى الناس عطاشى؟

فقرر صالح أن يسقى الناقة بأقل مما كانت تشربه، ولكنهم لم يقتنعوا بذلك وأخذوا يصطنعون الحجج، وكانوا يتلقون التعليمات من الصنم الحجرى الذى يدخل فيه إبليس ويتكلم من خلالـه حيث كان يقول بأن صالحا ساحر.

وأما صالح فإنه كشف لهم قصة الصنم كان يتكلم من خلالـه إبليس حيث أراهم النفق وكيف إن إبليس هو الذى يكلم الناس من خلالـه وبذلك انجلت حيلة إبليس. ولكن قوم ثمود بدلا من أن يهتدوا ازدادوا عداوة وعنادا وقرروا القضاء على الناقة مع كونهم خائفين من عاقبة هذا العمل. فأوعزوا إلى رجل شقى من قوم ثمود لكى يعقر الناقة وبعدما نفذ هذا الشقى الجريمة أقدموا على

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - عبدالصاحب الحسنى العاملى.

قتله لكى يتهموا صالحا بقتل الشقى فأخذ صالح يحذرهم من عاقبة ما أقدموا عليه وينذرهم بنزول العذاب ولكن قومه لم يكترثوا لتحذيره وقالوا له: نحن لا نعبد إلهك وليكن ما يكون. عندها دعا صالح ربه، فمادت الأرض بهم، وبعد انتهاء المهلة وإتمام الحجة ابتلعت الأرض العاصين ونجى من آمن مع صالح فيمموا وجوهم شطر بلاد الشام لتأتى مرحلة أخرى من حياتهم ومرت مدة طويلة لم تعبد فيها الأوثان إلى أن قام الشيطان بمحاولات إضلال جديدة حيث كان يقول: إن آدم وإدريس ونوح وهود وصالح كانوا على صواب حيث كانوا يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ولكن الأفضل أن يكون لكل شخص مكانا يتفرغ فيه للعبادة لكى يضمن التوجه الدائم ويجب أن يصنع شيئا يذكره بالله دائما. وبهذه الحيلة جذب الناس لعبادة الأجسام والأوثان وشيئا فشيئا غفل الناس عن التوجه للغيب وأخذوا يعبدون الأشياء المنحوتة. وقد انتشرت عبادة الأوثان إلى حد فإن نمرود كبير البابليين جعل من نفسه ربا وأمر الناس بعبادته حيث كان يقول إن هذه الأصنام تمثل الصور الصامتة للأنبياء وأنا أمثل الصورة الحية للآلهة فيجب أن تعبدوا الأوثان لتذكروا الأنبياء ويجب إطاعتى حتى لا تعبدوا الموتى وأن لا تنسوا الأحياء، وبهذه الصورة فإن نمرود أضل الناس أكثر من غيره، وبما أن بابل كانت عامرة توجه إليها الناس من كل صوب وحدب وانتشرت الضلالة منها إلى كل مكان وعلى هذا فقد حان وقت ظهور نبى عظيم ذى إرادة صلبة لكى يستطيع الوقوف

أمام هذا التوجه الضال فكان دور إبراهيم عليه السلام.

معجزة صالح عليه السلام:

يقول الله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} قال الله تعالى:{يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (1).

وإلى ثمود هم ولد ثمود بن جاثر بن أرم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا عتوا كبيرا فبعث الله إليهم صالح ﷺ قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا؟ وكان الله قد أطال أعمارهم حتى إن كان أحدهم يبنى البيت من المدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوها وكانوا فى سعة من معايشهم ولم يزل صالح عليه السلام يدعوهم فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون (2).

ورغم (3) نصاعة دعوة صالح عليه السلام فقد بدأ واضحا أن قومه لا يصدقونه كانوا يشكون فى دعوته واعتقدوا أنه مسحور وطالبوه بمعجزة تثبت أنه رسول الله إليهم وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تستجيب لطلبهم. قال صالح عليه السلام لقومه حين طالبوه بمعجزة ليصدقوه:{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ

(1) من الآية رقم (73) من سورة الأعراف.
(2) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير، ط دار الكتب العلمية.
(3) أنبياء الله أحمد بهجت: ط دار الريان للتراث.

تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}[1].

معجزة الناقة لصالح عليه السلام:

كانت هذه الناقة معجزة وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله:{...نَاقَةَ اللَّهِ...}[2] أضافها لنفسه سبحانه وتعالى. وإنما استشهد صالح عليه السلام على صحة نبوته عند قومه بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله. وكان [3] لقومه عيد يخرجون إليه بأصنامهم فقالوا لصالح أخرج معنا إلى عيدنا فندعوا إلهك وندعوا آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال: نعم، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم أن لا يُستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومه: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة - لصخرة منفردة - ناقة جوفاء عشراء فإن فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عليه السلام فإذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفرجت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت وليدا مثلها فى العظم فآمن به سيد قومه واسمه: جندع بن عمرو ورهط من قومه.

وأصدر الله أمره إلى صالح أن يأمر قومه بعدم المساس بهذه الناقة أو إيذائها أو قتلها أمرهم أن لا يمسوها بسوء وأن يتركوها

(1) من الآية رقم (64) من سورة هود.
(2) أنبياء الله: أحمد بهجت، دار الريان للتراث.
(3) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير، ط دار الكتب العلمية.

تأكل فى أرض الله وحذرهم إذا مدوا أيديهم إليها بالأذى فسوف ينزل بهم عذاب قريب من الله سبحانه وتعالى.

وكانت هذه الناقة ناقة مباركة قيل: كان لبنها يكفى آلاف الرجال والنساء والأطفال وكانت إذا نامت فى موضع هجرته كل الحيوانات الأخرى وكان واضحا أنها ليست مجرد ناقة عادية وإنما هى آية من آيات الله قال صالح: **{هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** فهو يرجو منهم أن يتركوا الناقة تأكل فى أرض الله وكل الأرض أرض الله وهو يحذرهم من أن يمسوها بسوء خشية وقوع عذاب الله عليهم وهو يلفتهم إلى إنعام الله عليهم كيف جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد.

يفعل صالح عليه السلام ذلك كله فإذا قومه يجيبونه أغرب إجابة يتجهون إلى الذين آمنوا بصالح فيسألونهم سؤال استخفاف واستهزاء:

أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه؟

وهو سؤال لا محل له بعد معجزة الناقة قالت الفئة الضعيفة التى آمنت بصالح: إنا بما أرسل به مؤمنون. وبدأ قوم صالح يفكرون فى حيلة لقتل هذه الناقة مع أنه عليه السلام لما خرجت هذه الناقة قال لهم: **{...لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}** [1] ومتى عقرتموها

(1) من الآية رقم (155) من سورة الشعراء.

أهلككم الله. فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فإذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملأوا كل وعاء وإناء وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئا وتزودا من الماء للغد.

قصة قتل الناقة:

فقال قوم صالح ينبغى لنا أن نزيح صالح من طريقنا يقصدون قتل الناقة وبعد قتلها يقتلونه هو وانبعثت الهمسات حول صالح وناقته قال أحدهم وكان فى عقله بقية لم يطمسها الكفر.. حذرنا صالح من المساس بالناقة وهددنا بالعذاب القريب. أخمد الجالسون هذا الصوت العاقل بكأسين من الخمر وبدأوا يتشاورون فيما بينهم من الذى يستطيع قتل الناقة قال أحدهم: أعرف واحدا يستطيع قتلها تناقلوا الاسم بينهم فى سرور ذلك جبار من جبابرة المدينة رجل يعيث فسادا فى الأرض ولا يكف عن الشراب تساءلوا من يساعده على القتل فقيل إن له زملاء فى المدينة (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) اتفقوا على موعد الجريمة ومكان التنفيذ.

الناقة المباركة وهى تضم لصدرها طفلها الصغير:

وانتهى المجرمون التسعة من إعداد أسلحتهم وسيوفهم وسهامهم وخرجوا فى جوف الظلام.. هجم الرجال التسعة على الناقة فنهضت الناقة ونهض طفلها مفزوعا.. امتدت الأيدى الآثمة

القاتلة إلى الناقة وقتل طفلها أيضا.

وقيل: إن الذى نفذ عملية القتل هو: قدار بن سالف كمن لها فى أصل شجرة فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها ثم نحرها.

فلما اجتمع قوم صالح على قتل الناقة وقتلوها كما بينا ورآها صالح عليه السلام مقتولة قال: أنتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله وتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وذلك وعد غير مكذوب.

قالوا له وهم يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح؟

وما آية ذلك: وكانوا يسمون الأيام فيهم.

الأحد: أول. والاثنين: أهون. والثلاثاء: دبار. والأربعاء: جبار. والخميس: مؤنس. والجمعة: يوم العروبة. والسبت: شيار.

وكانوا قد عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تصبحون غدا يوم مؤنس يعنى يوم الخميس وجوهكم مصفرة، ثم تصبحون يوم العروبة يعنى يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم شيار يعنى يوم السبت وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب الأول يعنى يوم الأحد [1].

فلما [2] أصبحوا فى اليوم الأول إذا وجوههم مصفرة فصاحوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب، فلما أصبحوا فى اليوم الثانى إذا

(1) حاشية الصاوى على الجلالين: ط الحلبى.
(2) التبصرة: لابن الجوزى، تحقيق د / مصطفى عبدالواحد، ط الحلبى.

وجوههم محمرة فضجوا وبكوا، فلما أصبحوا فى اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم: أى قد حضركم الموت فتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا فى اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فى صدورهم.

وقال مقاتل: حفروا لأنفسهم قبورا، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع ولم يأتهم العذاب ظنوا أن الله قد رحمهم فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضا فقام جبريل عليه السلام فوق المدينة فسد ضوء الشمس فرجعوا إلى قبورهم فصاح بهم صيحة عظيمة: موتوا عليكم اللعنة فماتوا وزلزلت بيوتهم فوقعت عليهم (فدمدم عليهم ربهم) أى أطبق عليهم العذاب انقضت الصيحة على الجبال فهلك فيها كل شىء حى وارتجفت الأرض رجفة جبارة فهلك فوقها كل شىء حى هى صرخة واحدة لم يكد أولها يبدأ وآخرها يجىء حتى كان كفار قوم صالح قد صعقوا جميعا صعقة واحدة. هلكوا جميعا قبل أن يدركوا ما حدث:

أما الذين آمنوا بسيدنا صالح عليه السلام فكانوا قد غادروا المكان مع بنيهم ونجوا [1].

ولما مر النبى عليه السلام على ديارهم قال: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين**» [2].

(1) أنبياء الله: أحمد بهجت، ط الريان.
(2) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده.

فـاعتبروا إخـوانى بهـؤلاء الهـالكين وانظـروا سـوء تـدبير الخاسرين لا بالناقة اعتبروا ولا لتعويضـهم اللبن شكروا، وعتوا عن النعم وبطروا، وعموا عن الكرم فما نظروا وأوعدوا بالعذاب فمـا حـذروا، كلمـا رأوا آيـة مـن الآيـات كفـروا. الطبـع الخبيـث لا يتغير، والمقدر خلاله لا يزال يتحير خرجت إليهم ناقة من أحسن النعم، ودر لبنها لهم فتوفرت النعم فكفروا وما شكروا فأدبرت النعم فأعاذنا الله وإياكم من الكفران وحفظنا من موجبات الخسران إنه سبحانه إذا لطف صان.

* * * * * * * * * *